عصـور - تصنيف ج- المجلد 23 / العدد01 - جوان 2024
EISSN 6278-2600 ISSN 1112- 4237
http://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/167

معرف الكائن الرقمي للمقال:(DOI)1054239/2319-023-001-008

مزار سيدي أحمد بن يوسف الملياني، تراث معماري وفني

The sanctuary of Sidi Ahmed ben Youcef el Miliani, an architectural and artistic heritage

د. زوليخة تكروشين*
المركز الوطني للبحث في علم الآثار تيبازة/ الجزائر
zoulikha42@hotmail.com

تاريخ الإرسال: 05/ 2023/08 تاريخ المراجعة: 2023/09/10 تاريخ القبول:2024/01/27

الملخص:

تعتبر المزارات والأضرحة معالم جنائزية، حظيت باهتمام الناس سواء كانوا من طبقة الحكام أم من عامة الناس. وقد انتشر بناء القباب بكثرة في البلدان الإسلامية وتميز بالوفرة والتنوع والتباهي، نتجت عنه أنواع متعددة، أصبحت بمرور الزمن جزءٌ لا يتجزأ من مجمّعات دينية، تُنافس في تصميمها وزخرفتها المساجد والمدارس والزوايا.

لقد شاع بناء هذه المزارات في مختلف المدن والقرى الجزائرية، من بينها مدينة مليانة العريقة التي اشتهرت بالعلماء والصالحين، الذين حظوا باحترام كبير لدى الأهالي، من بينهم سيدي أحمد بن يوسف صاحب المقام المشهور الذي يعود إلى الفترة العثمانية، والذي يُعتبر النواة الأولى للمجمّع الديني المسمّى بزاوية سيدي أحمد بن يوسف، وأهم نقطة التقاء تُمارس عندها تقاليد وعادات في مناسبات الملياني الدينية والاجتماعية.

يهدف المقال إلى إبراز مكانة هذا المزار المشهور وقيمته الأثرية، وكذا التعريف بالولي الصالح الملياني. وعليه، نطرح إشكالية هامة تتمحور حول

*زوليخة تكروشين، المركز الوطني للبحث في علم الآثار تيبازة/ الجزائر

مميزاته المعمارية والفنية وفق تأثيرات خاصة أُضيفت إليه لتحديد طرازه. فالمزار ينفرد بروائع العناصر المعمارية التي أبدعت فيها الأنامل الإسلامية. كما يمثل تراثا ماديا يمتاز بالطراز الغالب في الفترة العثمانية، ومركزا روحيا حرص الأهالي على أداء ممارسات عنده لا تزال إلى يومنا هذا.
الكلمات المفتاحية: مزار؛ ملیانة؛ سيدي أحمد بن يوسف؛ مجمّع ديني؛ معالم جنائزية؛ طراز إسلامي.

Abstract:

The sanctuaries and mausoleums are funerary monuments that have aroused the most interest among society, whether it be the ruling classes or the common people. The monuments dedicated to them are as diverse as they are ostentatious and have become over time an integral part of religious complexes.

The erection of these mausoleums is also widespread in various cities and villages of Algeria, among them, the old city of Miliana, which known for its scholars and its saint patrons, who enjoyed an unprecedented respect among the community, such as Sidi Ahmed ben Youcef, the owner of the famous mausoleum dating back to the Ottoman period and which includes a mosque (djamiî), a zaouia, a hostel for the disciples and a cemetery.

The present article aims to make the personality of the saint patron, known, through his famous mausoleum, an architectural masterpiece, which encouraged us to investigate its architectural and artistic characteristics. This monument represents a material heritage that is characterized by the style that predominated during the Ottoman period. It also has preserved the originality of its architecture thanks to the interest shown by the inhabitants as well as authorities of the city in this type of architecture.

Keywords: Mazar; Miliana; Sidi Ahmed Ben Youcef; religious complexe; Funerary monuments; Islamic style.

- مقدمة:

يُفضِّل الكثير من عامة الناس وذوي الجاه، تخليد ذكرى العلماء والأولياء الصالحين؛ ببناء مقامات على رفاتهم أو على محلّ إقامتهم أو مرورهم. هذه المقامات تصبح فيما بعد مزارات يعتاد الناس على زيارتها؛ لعدة دوافع وأهداف ترتبط باحتياجاتهم الدينية والروحية والنفسية. والمزار من أسماء الضريح، وهو بناء على قبر أحد العارفين أو الصالحين (لوبون قوستاف، 1384هـ/1964م: 428) يُقصد للزيارة في مواسم مُعيّنة من طرف الناس. وقد لا يحتوي المزار على القبر، بل بناء رمزي للذكرى. ونفس المعنى تقريبا في لفظ مقام وهو المكان الذي دفن فيه أحد الأولياء الصالحين أو الأنبياء عليهم السلام، أو مكان أثرهم تعبدوا فيه دون أن يُدفنوا به (صالح لمعي مصطفى، د.ت: 23). وتُعد هذه المزارات من أبرز المباني الدينية الجنائزية في العمارة الإسلامية، منها ما أُلحقت بها منشآت أخرى كالمسجد أو المصلى والزاوية والمدرسة والمقبرة والسبيل، وأصبحت تُعرف بالمجمّعات الدينية.

وعلى هذا الأساس، اخترنا مزار سيدي أحمد بن يوسف من أجل التطرق إلى دراسته كتراث معماري، وذاكرة خالدة عند أهالي مدينة مليانة العريقة؛ نظرا لما يكتسيه من قيمة تجلّت في كونه مَعلمًا يضم رفات وليّ صالح مشهور، ومَجْمَعٌ روحي حظي باحترام لا نظير له لدى الأهالي والحُكّام؛ منهم الباي محمد الكبير باي إيالة وهران، الذي كان مُحبّا لأهل العلم والصلاح، فكرّم هذا العالِم بتشييد مقام له. ومن ميزة هذا المزار أنه يقع في مُجمّع ديني يضم مسجدا وزاوية وضريحا ودارا للطلبة وصحنا (ساحة)، كلها اجتمعت تحت تسمية واحدة وهي "زاوية سيدي أحمد بن يوسف". فأهمية دراسته تكمن في امتلاكه على مقوّمات معمارية وفنية ودينية بالإضافة إلى مقومات اجتماعية وسياحية.

نهدف في هذا المقال إلى توضيح رؤيا أثرية علمية للمقامات والمزارات الإسلامية بالجزائر من خلال هذا النموذج، وإبراز طرازه المعماري ومكانته المشهورة. وبهذا، يمكننا طرح التساؤلات التالية: ما نوع الخصائص المعمارية والفنية التي تميّز بها هذا المزار؟ فيما تكمن مكانته الروحية في ذاكرة الوسط المليانيّ؟ ولقد اتبعنا في هذا البحث منهجا وصفيا، واعتمدنا على المعاينة الميدانية للمعلم عن قرب.

1- نبذة عامة عن مدينة مليانة

مدينة مليانة الضاربة في أعماق التاريخ، إحدى دوائر ولاية عين الدفلى غرب مدينة الجزائر العاصمة. تتميز بمساحة صغيرة وموقع جغرافي متميز ضمن سلسلة الأطلس التلّي. تبعد عن مدينة الجزائر بحوالي 130 كلم، وتقع على ارتفاع 740م (Haddadou M.A, 2012: 410) تحت سفح جبل زكار شمالا (Basset René, 1895: 3). يكتنفها وادي الريحان شرقا (حاج صادق محمد، د ت: 20) وسلسلة قنتاس الخصبة جنوبا، والهضبة التي يسقيها واد بوتكتون غربا (بوغفالة ودان، 1430هـ/2009م: 86 - 87). كما تُشرف على سهول الشلف جنوبا وغربا؛ بمنظر واسع على الأطلس التلّي وسلسلة الونشريس (حاج صادق محمد، د ت: 20).

1-1- تأسيس المدينة وتاريخها:

إن موقع مدينة مليانة في قلب المغرب الأوسط، وتأسيسها في سهل متيجة بين أهم عواصمه، كمدينة الجزائر وتنس وشرشال، جعلها منذ العهود الأولى تؤدي دورا سياسيا وعلميا وتجاريا واقتصاديا هاما، مما أثار طمع الكثير من الملوك والأمراء في امتلاكها (بلحميسي مولاي، 2007م: 287).

تأسّست زوكبار في بداية القرن 1ق.م، وهي مدينة محصنة بفضل موقعها الجيوستراتيجي الذي يسمح بمراقبة القبائل المعارضة للاحتلال الروماني للمنطقة. خُرّبت المدينة القديمة عن آخرها إثر غزو الوندال لها في القرن 5م. أما المدينة الإسلامية؛ فقد بُنيت من طرف بُلكين بن زيري بن مناد في القرن 4هـ/ 10م عام 355هـ/ 966م، على أنقاض المستعمرة الرومانية. واتُخذت عاصمة سياسية لأكبر جزء من المغرب الأوسط في عهده (حاج صادق محمد، د ت: 27).

دخلت المدينة تحت حكم دول المغرب الأوسط منها الدولة الحمادية والموحدية، ثم موضعَ صراعٍ بين الدويلات الثلاث الحفصية والزيانية والمرينية، إلى أن دخل الإخوة بَربروس إلى الجزائر وشرعوا في التوسّع غربا باسم الدولة العثمانية، فعرفت مليانة تطورا وازدهارا؛ ظهر في بناء نظام إداري ودفاعي، تمثل في القصبة والأسوار والأبراج. وبعدها أُلحقت المدينة وفحوصها ببايلك التيطري سنة 972هـ/1565م، ثم صارت لبايلك الغرب عندما كانت عاصمته مدينة مازونة 970- 1112هـ/ 1563- 1701م. وخلال القرن 12هـ/18م أُلحقت بدار السلطان، ثم ببايلك الغرب مرة أخرى في أوائل القرن 13هـ/19م (بوغفالة ودان، 1430هـ/2009م: 92 - 93).

وبعد سقوط الحكم العثماني في الجزائر على يد الاستعمار الفرنسي، دخلت في منطقة نفوذ الأمير عبد القادر عام 1834م، الذي أنشأ بها مصنعا حربيا لتأمين حاجياته من العتاد والسلاح. وأخيرا ضُمت إلى عمالة الجزائر من طرف الاستعمار الفرنسي سنة 1840م (بوغفالة ودان، 1430هـ/2009م: 99).

ازدهرت المدينة خلال العصر الوسيط في مختلف مجالات الحياة، (بورملة خديجة، 2017م: 225 - 228). فقد عُرفت بجبالها وكثرة ينابيعها وجداولها وأنهارها، حتى أن الدُورَ كانت مزودة بالآبار. وتحيط بالمدينة بساتين شاسعة ذات الأشجار المثمرة (كربخال مرمول، 1408- 1409هـ/ 1988- 1989م: 359 - 360). وكان يُستعمل في سقي المزارع والحقول الرّحاء المجهّزة على تلك الأنهار لدفع الماء (الحميري محمد ابن عبد المنعم، 1980م: 547) وهذا ما يدل على أن طرق وتقنيات جلب الماء وتوزيعه على البساتين كانت معروفة في تلك المدينة. كما امتهن سكانها الحرف، وأنتجوا مختلف المصنوعات ذات الاستعمال اليومي (كربخال مرمول، 1408- 1409هـ/ 1988- 1989م: 360). وقد ساعد على تطور وانتعاش المجال الزراعي والصناعي والتجاري في المدينة، هؤلاء الأندلسيون اللاجئون الذين جلبوا معهم حِرفا وصناعات وعادات وتقاليد وتفننوا في علوم الزراعة والبستنة؛ مما سهّل تطور شبكة الطرق الرابطة بين مختلف مدن المغرب الأوسط.

1-2-: تسميات المدينة:

ذُكرت المدينة بأسماء متعددة ومتقاربة؛ حيث جاءت في جغرافية بطليموس Ptolémée قديما باسم زوكّوبّاري Zucchubbari، ولدى بلين القديم Pline L'Ancien باسم سوكّابْرا Succabra والتي تقع على بعد 50 دقيقة شرق عين الدفلى Oppidoneum-Novum (Shaw Dr, 1830 : 259). وعند أميان مرسلان Amien Marcelin، نجد اسم سوقباريتوم Succabaritum (حاج صادق محمد، د ت: ص20- 21) وزوكبار Zoukabbar (Gsell Stéphane, 1997: F13: p6). وقيل أن زوكبار أُبيدَت أثناء القرن 6م بسبب الفتن والثورات، فضاع اسمها معها. وبما أن اسم زوكبار Zucchabar أو سوقبار Succabar لا علاقة له باللغة اللاتينية، فالغالب أنه أُطلق على حاضرة قبل الاحتلال الروماني (حاج صادق محمد، د ت: ص20 - 21)؛ ولهذا يُرجّح أن يكون من أصل فينيقي يحمل معنى سوق

القمـح، حيـث لمـس بهـا بطليمـوس بعـض آثار التـأثيرات البونيـة(Gsell Stéphane, 1997 :F13 : p6).

كما ذُكـرت المدينـة أيضـا لـدى بطليمـوس Ptolémée باسـم مَنْليانـة Manliana، وكذا في سجل اجتماع قرطاجة الكنسي لعام 484م باسم مَلّْيانة Malliana (حاج صادق محمد، د ت: ص20 - 21). وذكـر الحسـن الـوزان أنها سُميّت ماكْنانة Maknana من طرف الرومان؛ إلا أن الاسـم تـمّ تحريفـه من طرف العرب (الوزان الحسن، 1983م: 34). وجاء في معجم البلدان اسم مِليانة بكسر الميم، وأنها مدينة قديمـة جـدّدها زيـري ابـن منـاد وأسكنها ابنـه بُلكين (الحمـوي يـاقوت شـهاب الـدين، 1397هـ/ 1977م: 197). فكـل هـذه الأسماء تمّت مقارنتها باسم مليانة المرجّح أنه من أصل لاتيني (حـاج صـادق محمد، د ت: ص20 - 21).

2- الإطار الجغرافي والتاريخي والمعماري للمزار:

يعتبر مزار العالم الجليل سيدي أحمد بن يوسف أحد رموز مدينة مليانة العريقة، ومن أبرز تراثها الروحي والاجتماعي؛ إذ احتضـنت رفاتـه ليصـبح مَعْلما مُصنّفا وطنيا مـع المسـجد فـي قائمـة التـراث الجزائـري، نظـرا لقيمتـه التاريخيـة والأثريـة وذلـك بتـاريخ 19 ذي الحجـة 1398هـ الموافـق لــ 20 نـوفمبر سـنة 1978م (الجريـدة الرسـمية، 26 محـرم 1399هـ: 110). يقـع المزار وسط مدينة مليانة، في المجمّع الديني المسمّى زاوية سيدي أحمـد بـن يوسف. يحدّه من الجهة الشرقية المسجد ومن الجهة الشمالية الغربية الزاويـة، ومن الجهة الجنوبية والغربية بيت الطلبة والمقبرة.

2-1- تاريخ بناء المعلم:

في غياب أية كتابة مطلقة تحمل تاريخ تأسيسه أو أعمال ميدانية توضح طبقية الأرض التي بُني عليها، لا يمكن تحديد تأريخ المعلـم. بالمقابـل، يسـمح الطـراز المعمـاري السـائد فـي التخطـيط أو العناصـر المعماريـة والزخرفيـة المتداولين في تلك الفترة بتحديد معطيـات تاريخيـة للمبنـى. كمـا يمكـن إسـناد المبنى إلـى تـاريخ فتـرة حيـاة مؤسّسـه أو إلـى فتـرة توليـة الحـاكم علـى تلـك المنطقة.

وعلى هذا الأساس؛ فإن تحديد تاريخ البناء يخضع لعدة معطيات، منهـا ما جاء في المصادر التاريخية الإسلامية؛ أنه بُني في فترة حكـم البـاي محمـد

الكبير باي إيالة وهران (1192هـ - 1213هـ /1778م - 1798م). فلقد ذكر ابن سحنون متحدثا عن الباي محمد الكبير: "وقد كان بنى مشهد الأجل السيّد أحمد بن يوسف دفين مليانة" (الراشدي ابن سحنون، 2013م: 141). كما جاء أيضا عند ابن هطّال في قوله: "وصنع مشهدا لسيدي أحمد بن يوسف دفين مليانة" (التلمساني بن هطّال، 2004م: 17- 24). لكن لم يذكر كلاهما إن كان ذلك في فترة حكمه، عندما تولى منصب الباي على الإيالة الغربية، بين سنتي (1192هـ/1778م و1213هـ/1798م) أم قبلها. وبالرجوع إلى لوحة رخامية حديثة مثبّتة على يمين مدخل المزار؛ جاء نصّها: "ضريح سيدي أحمد بن يوسف توفي أبو العباس أحمد بن يوسف الراشدي عام 1526م ودفن بمليانة وفي 1774م أمر محمد الكبير باي وهران ببناء الضريح والزاوية". أي قرابة القرنين ونصف القرن بعد وفاة سيدي أحمد. فتاريخ 1187هـ/1774م، لم يكن الباي محمد الكبير قد تولى فيه منصب الباي بعد.

وقد حاولنا ربط ما جاء على لسان ابن سحنون وابن هطّال اللذان يذكران أن المقام بُني في عهده. وبناءً على ذلك؛ يُرجَّح أن تشييد هذا المعلم قد تمّ بأمرٍ من الباي؛ لكن قبل توليته منصب بايٍ. وما يشجعنا على الأخذ بهذا الرأي، أن الباي عاش مدة بمدينة مليانة، وكان تحت كفالة صديق والده أبي إسحاق إبراهيم الذي كان قائدا على المدينة، وبالتالي؛ فقد يكون الباي قد تقلّد منصبا إداريا أو سياسيا، مكّنه من إصدار أمر بناء المشهد، تكريما للوليّ الصالح (تكروشين زوليخة، 2020 - 2021م، 128 - 129). لأن المعلوم أن الحكام العثمانيين كانوا موالين للأولياء الصالحين وشيوخ الطرق الصوفية، ويدعمونهم ويعفونهم من دفع الضرائب؛ لأنهم كانوا من أتباع الطرق الصوفية، التي كانت تقودهم وتؤثر فيهم، فكانوا من جهتهم يتبركون برجالها ويبحثون لهم عن حلفاء لتوسيع نطاق نفوذهم. ومن جهة أخرى، رحّب هؤلاء الشيوخ الصوفيون بالعثمانيين لأن مبرراتهم الدينية الصوفية كانت تخدمهم. وكان سيدي أحمد بن يوسف من هؤلاء الذين باركوا للعثمانيين، إذ أن خلافه مع الزيانيين الذين حاولوا السيطرة على نفوذه والحدّ من انتشار دعوته، جعل العثمانيين يتحالفون معه ويتقربون إليه. وبذلك؛ شاع تحالف المرابطين بالحكام العثمانيين، وأصبحوا يُظهرون كل التقدير لأهل التصوف ويتقربون إليهم بشتى الوسائل، كبناء المقامات والزوايا (سعد الله، أبو القاسم، ج1،

1998م: 459- 467) مثلما حدث مع الباي محمد الكبير الذي بنى مشهد سيدي أحمد بن يوسف بعد وفاته.

2-2- ترجمة سيدي أحمد بن يوسف الملياني الراشدي:

هو الشيخ الولي الصالح العالم الناسك، المقرئ بالقراءات السبع (الكتاني محمد بن إدريس، 1425هـ/2004م: 14)، أبو العباس أحمد بن أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الله بن يوسف بن عبد الجليل، الذي يصل نسبه إلى الحسن السبط بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه وفاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم. والدته هي آمنة بنت يحي بن أحمد بن علي الغريسي، الشهير صاحب الكرامات. اختُلف في تاريخ ومكان مولده، فقيل أنه ولد سنة 836هـ/1442م، أو 840هـ/1436م، أو 844هـ/1440م. بمنطقة تابلكورة (بأدرار) أو تالوانت (بالمغرب الأقصى) أو قلعة بني راشد (بغليزان) (حاج صادق محمد، د ت: 76- 80). عُرف بالدّامودي المريني الهوّاري الراشدي الملياني (يُنظر التعليق رقم 1). وكان جليل القدر كبير الشأن من أكابر مشايخ الصوفية، فُتح عليه في علوم أسماء الله تعالى وتصريفها (الشفشاوي محمد بن عسكر، 1397هـ/ 1977م: 124).

كان من خرّيجي مدرسة تلمسان الفكرية أواخر القرن 9هـ/15م؛ وهي مدرسة محمد بن يوسف السنوسي، وكانت له زاوية برأس الماء (بسيدي بلعباس) يستقبل فيها الأتباع والطلبة (سعد الله أبو القاسم، ج1 ،1998م: ص496). وقد تأثر الشيخ الملياني بالشيخ أحمد زروق البرنسي (846هـ/1442م - 899/ 1493م) تأثّرا عميقا، إذ أخذ عنه العلم في بجاية وأدخله الخلوة وألبسه الخرقة. ودرس عنه مختلف العلوم الدينية (حاج صادق محمد، د ت: 82- 84)، كما تأثر بأفكار كبار شيوخ المشرق الصوفية الأوائل؛ منهم مالك بن دينار وإبراهيم بن الأدهم وذو النون المصري (حاج صادق محمد، د ت: 82- 84). درّس تلامذته في مصراتة وفي تاقصريت وفي يلّل، وفي زاويته بقلعة بني راشد. (يُنظر التعليق رقم 2) حيث رحل بعد وفاة أبيه من بلدة رأس الماء إلى القلعة وأسس بها زاويته (حاج صادق محمد، د ت: 88- 90).

جمع الله له بين علم الحقيقة والشريعة، واجتمع عنده كبار المشايخ من العلماء والصالحين. واشتهر ذكره في الآفاق شرقا وغربا، وأوقع الله عزّ وجلّ له القبول في قلوب الخلق وقصده الناس من كل حدب وصوب. كان يحبّبهم في طاعة الله تعالى ويحفّزهم على الذكر، ويرشدهم إلى الصراط

المستقيم، حتى تاب على يده خلق كثير. وكان يقول عن نفسه: "إنما ألمح بعض أصحابي لمحة، فيبلغ بها مقام الأولياء" (الكتاني محمد بن إدريس، 1425هـ/2004م: 15 - 16). اشتهر باستجابة الدعاء، وتعدد الكرامات حتى ذاع صيته بين الأهالي والحكام كقطب من أقطاب الطريقة الشاذلية (يُنظر التعليق رقم 3). وكان لا يرفض الهدايا ولا الملابس الفاخرة ولا الموائد الغنية؛ طبقا لتعاليم الطريقة الشاذلية التي لا تمانع في ذلك بشرط أن يُؤخذ أو يتُرك لله تعالى (سعد الله أبو القاسم، ج1998،1م: 496).

عاش سيدي أحمد بن يوسف في فترة صعبة؛ خلال التدهور السياسي الذي شهدته تلمسان الزيانية في آخر عهدها، من تفكك وسقوط من جهة، وبداية العهد العثماني من جهة أخرى (مفلاح محمد، 2006م: 28). فقد تعرض للاضطهاد والسجن والمطاردة والحرق. وكان عليه أن يبحث عن حلفاء من أجل حماية حركته النامية؛ التي أسّسها على مبادئ الطريقة الشاذلية (سعد الله أبو القاسم، ج1 ،1998م: 496)؛ فاتصل بالإخوة بربروس الذين لقوا الدعم منه لأنه كان على خلاف مع الحكام الزيانيين (مفلاح محمد، 2006م: 28). فأيدوا دعوته واتفقوا معه على عدم تعرضهم له ولا لذريته وأتباعه وإعفائهم من دفع الضرائب والتقرب إليه بالهدايا والأموال.

انتشرت طريقة الملياني في الجزائر والمغرب الأقصى في حياته بسرعة، وهي ظاهرة قليلة الحدوث؛ لأن معظم المرابطين ورجال الصوفية تشتهر طريقتهم وأخبارهم الصوفية بعد وفاتهم (سعد الله أبو القاسم، ج1 ،1998م: 496). ترك بعض التآليف التي نذكر منها: "رسالة في الرقص والتصفيق والذكر في الأسواق"، كما ألف عنه تلميذه محمد الصباغ تأليفا؛ جمع فيه أخباره وأسماه "بستان الأزهار في مناقب زمزم الأبرار ومعدن الأنوار سيدي أحمد بن يوسف الراشدي النسب والدار". وأصبح كتابه هذا مصدر كل الدراسات عن هذا العالم المتصوف، وعن الحياة الصوفية عموما في الجزائر خلال القرن 10هـ/16م. كما ألف عن حياته، الشيخ علي بن موسى الجزائري كتابا أسماه "ربح التجارة"، معتمدا فيه على تأليف الشيخ الصباغ القلعي (سعد الله أبو القاسم، ج2 ،1998م: 114- 116).

كان في أواخر حياته مقيما عند بني راشد في الظهرة شمال وادي الفضة، ولما أحسّ بقرب أجله أوصى أتباعه بأن يجعلوا جثمانه بعد وفاته على ظهر بغلته، ويَدَعوها تسير حرّة. سارت البغلة ووقفت وبركت بملياناة وماتت، فدفنه أهل المدينة في المكان الذي بركت فيه ودُفنت بقربه. وقد

اختُلف في تاريخ وفاته، فمنهم من قال أنـه تـوفي سـنة 924هـ/1518م وقيـل سنة 927هـ/1521م، ومنهم من قال سنة 931هـ/1525م (الزياني محمـد بـن يوسف، 2013م: 62) أو سنة 934هـ/1527م، وذلك ببلدة براز التـي سُميت فيما بعد "الخربـة" ثـم "العـامرة"، شـمال غـرب عـين الـدفلى (حاليـا) (حـاج صـادق محمـد، د ت: 78) حيـث لا يـزال مقامـه يُعـدّ مـن أعظـم المـزارات المشهورة بالمنطقة وبالقطر الجزائري إلى اليوم.

2-3- الوصف المعماري والفني للمعلم:

يُشرف مزار سيدي أحمد بن يوسف على صحن الزاوية الذي يحيط بـه أربعة أروقة، أحدها يتقدم قاعة المقام. وهو يحتوي على بئر وبجانبها نـافورة من الرخام، يُستعمل ماؤها من طرف الزوار للوضوء والتبرك. (صورة رقم 1)

تتخذ قاعـة المقـام شـكلا مربعـا (54,76م^2)، يقـع بواجهتهـا الشـمالية مدخل (1,25م×2,40م)، يتوسط نافـذتين مسـيجتين بسـياج حديـدي. لـه عقـد نصـف دائـري يحمـل إطـاره زخـارف جصـية، تشـهد علـى درجـة البراعـة والإتقان اللذين وصل إليهما الفنان المسلم فـي الفتـرة العثمانيـة؛ حيـث تمثلـت تلـك الزخـارف فـي حشـوات تحمـل أزهـارا أفقيـة مُرتبـة علـى طـول محـيط الإطار، الذي يرتكز عقده على عمودين مـربعين مـدمجين فـي الجـدار، لهمـا قواعد مربعة بسيطة، يعلو كل واحد منهما تاج مربع. للمدخل بـاب خشـبي ذو مصـراعين مزدانين بحشوات تحمل زخارف نباتية؛ عبارة عـن ورقـة السـرو المعروفة بكثرة في الفن العثماني، وزخارف هندسية عبـارة عـن مسـتطيلات ومعينات. (صورة رقم 2)

صورة رقم 1: صحن الزاوية: سنة 2019م بعد عمليات الترميم (عن الباحثة)

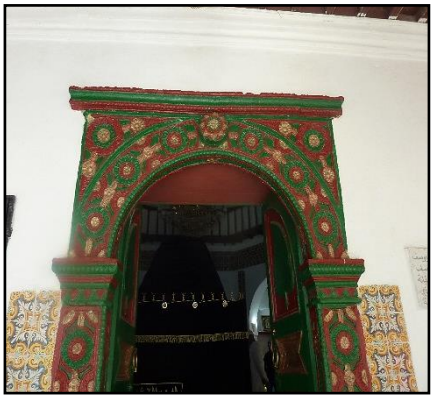

صورة رقم 2: عقد المدخل سنة 2019م (عن الباحثة)

تغطي المزار قبة ذات سقف مثمن من القرميد الأخضر يزينه من الأسفل إفريزان زخرفيان متراتبان. يرتكز السقف القرميدي على رقبة مثمنة مرتفعة، زُينت أضلاعها بعقود نصف دائرية صمّاء؛ فُتحت في أربعة منها ثلاث شمسيات مجمّعة تحت عقد واحد نصف دائري بغرض الإضاءة والتهوية. تلك الشمسيات، تحمل زخارف جصية هندسية مخرّمة قوامها أطباق نجمية، المعروفة في الفن المغربي. (صورة رقم 3)

أما العقود الأربعة المتبقية، فقد فُتح في إحداها مدخل صغير، له باب خشبي ذو مصراع واحد يؤدي مباشرة إلى داخل المقام. يتم من خلاله الدخول من على سطح المسجد إلى الشرفة الخشبية المثمنة، التي تحيط بكامل الرقبة المثمنة والتي تعلوها قبة مثمنة أيضا. ويتم الوقوف على هذه الشرفة عند عملية تنظيف القبة من الداخل، وهي مزوّدة بدرابزين خشبي لتفادي السقوط. تزدان رقبة القبة بشريط من البلاطات الخزفية وتقوم في أركانها على أربعة عقود منكسرة، يرتكز كل عقد منها على عمودين حلزونيين، لهما قواعد مربعة صغيرة وتيجان محلية. يحتجب وراء كل عقدٍ مثلثٌ كرويٌ أفقيٌ، يؤدي دور منطقة الانتقال. وتتوزع على جدران القاعة نوافذ وحنيات جدارية وكوات متعددة الأحجام والأشكال. (صورة رقم 4)

صورة رقم 3: القبة من الخارج سنة 2019م (عن الباحثة)

صورة رقم 4: القبة والتابوت سنة 2019م (عن الباحثة)

يحتـوي المقـام علـى محـراب (1,25م×2,36م×0,70م)، ذي مسـقط نصف دائري تتخذ فتحتـه شـكل عقد حـدوي منكسـر، يرتكـز علـى عمـودين جانبيين حلزونيين وتزيّن مركزه محّارة جصية بـارزة. تكسـو الجـزء السـفلي للمحـراب بلاطـات خزفيـة، أمـا الجـزء العلـوي؛ تُـزيّن حنيتـه نصـف قُبيبـة مزخرفـة بأخاديـد لتعطـي شـكل صَـدَفة. يعلـو المحـراب رفّ خشـبي مـزدان بحشوات تحمل زخارف هندسية ونباتية مخرمة فـي غايـة الروعـة والاتقـان، يزينه من الأسفل إفريز من الزخارف التي تشبه الشراشف. (صـورة رقـم 5) تكسو جـدران القاعـة مجموعـة كبيـرة ومتنوعـة مـن البلاطـات الخزفيـة إلـى ارتفاع 1م تقريبا، كما تكسو أُطُر العقـود والنوافـذ، وكـذا المـدخل والمحـراب وأسفل الرقبة. أما الأرضية؛ فهي مبلّطة بقطعٍ من الآجـر سداسـي الأضـلاع، تتوزع بها مجموعة من القبور التي تعود إلى عائلة الولي الصالح.

صورة رقم 5: المحراب ورفّه الخشبي سنة 2019م (عن الباحثة)

يرتفع فوق قبر سيدي أحمد بن يوسف، تـابوت خشـبي مسـيّج بتـابوت حديدي لحمايته، ومغطى بقماش أسود مزدان بأشرطة وكتابات مذهّبة. تعلـوه قبة مثمنة مفرغة ذات ألواح خشبية وله باب ذو دَفّتين. يحمل التابوت الخشبي زخارف هندسية ونباتية، وحشوات تحمل تاريخ صناعته لكن السياج الحديدي حال دون قراءة الكتابة كاملة.

...أيها المحتاج صاحب هذا ...
تاريخ التاج (أو إنتاج)، عام 1264
هذا قبر المليانـي الراشدي، سيدي أحمد بن يوسف

وعليه، فإن تاريخ صناعة هذا التابوت يعود إلى سنة 1264هـ/1848م.

كما تمّ تجديد الباب الخشبي للمدخل الرئيسي للزاوية سنة 1274هـ /1857م، حسب اللوحة التأسيسية أعلى المدخل ونصّها:

هذا ضريح الشيخ الولي الصالح القطب
الرباني الممد بالأمداد الصمداني صاحب الكرامة
والبرهان سيدي أحمد ابن يوسف السّلطان نفع
الله الجميع به أمين قد جدد بناء بابه أحمد بن محمد بلاغه سنة 1274".

احتوت هذه اللوحة على اسم "أحمد بن محمد بلاغه" الذي نفتقر إلى المعطيات في شأنه، إن استثنينا أنه عاش في القرن 13هـ/19م، وقد يكون هو من أمَر بتجديد الباب أو الحِرفي الذي قام بصُنعه (تكروشين زوليخة، 2020 - 2021م، 128 - 129). والمزار حاليا في حالة جيدة جدا من الحفظ؛ بعد الترميمات الأخيرة التي أُجريت عليه منذ سنة 2008م إلى غاية 2019م، إلاّ أن الخلط الكبير في إعادة تركيب البلاطات الخزفية، أدى إلى تشويه بعض ملامحه الأثرية والفنية على العموم.

على يمين المحراب فُتح مدخل له ساكف خشبي، يُفضي إلى قاعة مستطيلة (18,42م^2) تسمى قاعة "لالة بغورة" يعلوها سقف مسطح مدعم بـ 51 عارضة خشبية، فُتحت بها نافذة تطل على ساحة مرقد الطلبة. عُرفت لالة بغورة عند أهل المدينة على أنها امرأة صالحة كانت خادمة زنجية لسيدي أحمد بن يوسف، مع العلم أنه دُفن في مليانة ولم يستقر بها قط، فأنّى له أن ترافقه امرأة خادمة وهو ميت على ظهر بغلته؟ ولنفترض أنها قد أتت معه خلال نقله على بغلته ثم توفيت وقُبرت بجانبه، أو أنها عاشت بعده مدة من الزمن، واتخذت مكانا محاذيا لقبر سيدي أحمد تتعبد فيه إلى أن توفيت ودُفت به، ثم بُني على قبرها قاعة بجانب ضريح الولي عند تشييده. لكننا لم نجد في تلك القاعة قبرها أو ما يدل عليه؛ بل قبورا حديثة وحنية بارزة مبنية من الآجر على شكل محراب، يعلوها سقف برميلي وبجوفها حنية صغيرة أخرى، مخصصة لوضع الشموع والحناء للتبرك.

وخلافا لهذا؛ نجد رأيا آخرا أقرب إلى الصواب من الرأي الأول، والذي يشير إلى أن هذه القاعة دُفنت بها بغلة سيدي أحمد التي توفيت معه (بلعربي عبد القادر، 2020- 2021م، 124). وعلى هذا الأساس، فإننا نرجّح أن تسمية بغورة هو تحريف لكلمة بغلة ثم بغولة مع مرور الزمن، لتصبح كلمة بغورة هي الشائعة على الألسنة، ارتبط معها لفظ "لالة" احتراما لهذه البغلة على حملها جثة سيدي أحمد بن يوسف، ومرافقتها له حتى في وفاته وماتت بعده مباشرة، خصوصا وأنها بغلة مأمورة؛ لأنه أوصى أتباعه عندما أحسّ بدنوّ أجله بأن تُحمل جثته عليها وأن يتركوها تسير حرّة، لتحط جثمانه أينما بركت بذلك المحلّ. وإضافة إلى ذلك أنها ماتت بعده في نفس المكان؛ فحتما ستلقى البغلة كل التقدير على فعلها الذي يراه الأهالي أمرا خارقا للعادة وأن تُدفنَ بقرب سيدها. (صورة رقم 6)

صورة رقم 6: قاعة لالة بغورة سنة 2019م (عن الباحثة)

3- المزار في ذاكرة الملينيين:

يُعتبر وجود الولي الصالح في ثقافة بعض أهالي المدن والأرياف شرف عظيم؛ فهو تراث عريق وذاكرة متوارَثة. وتُعد زيارة مقام سيدي أحمد بن يوسف من العادات التي تُشكّل متنفسا وخروجا عن العالم المادي إلى العالم الروحي لأهل مدينة مليانة. فهي تواصلٌ بين الماضي والحاضر من خلال استذكار فضائل وكرامات صاحب المزار. وعلى ذلك؛ كثيرا ما سُميت المدن والقرى والأحياء بأسماء الأولياء الصالحين، وارتبط البعض الآخر

منها بمقاماتهم حتى صارت جزءًا منها (دويدة نفيسة، 2015م: 16 - 17) كما أن قبر الولي الصالح يعد النواة الأولى لتأسيس تلك المدن والأحياء، وكذا تأسيس المجمعات الدينية، وهذا ما حدث في مجمّع سيدي أحمد بن يوسف الذي بُني حول النواة الأولى ألا وهي قبره، رغم أن المقام أُقيم فوق قبره بعد قرنين ونصف من دفنه.

ولا بد من القول؛ أن مزار سيدي أحمد بن يوسف، هو مركز شعائري هام عند أهل المدينة، ونواة رئيسية سواءً بمدينة مليانة أو ضواحيها؛ فيه تكمن روح عادات وتقاليد المنطقة. ولا تزال زاويته المشهورة تستقبل الوافدين إليها من كل حدب وصوب، لزيارة قبره الذي يُقام له موكب خاص في موسم الربيع يسمى "ركب سيدي أحمد بن يوسف"؛ حيث يسير موكب كبير يضمّ جميع الزوار من مدخل المدينة، متوجهين نحو المزار وحاملين الأعلام ومهللين بأدعية وابتهالات وقصائد دينية.

كما تُمارس فيه عادات أخرى تشبّث بها المليانيون منذ وقت طويل وأصبحت راسخة في مجتمعهم؛ وهي زيارة مقام سيدي أحمد في المناسبات الدينية والاجتماعية، كمناسبة المولد النبوي الشريف وحفلات الزواج وكذا ختان الأولاد وغيرها. فهذه التقاليد التي تمسّك بها الأهالي، نبعت من حاجاتهم الماسة إلى تلبية رغباتهم النفسية، للتقرب إليه ولمس قبره أو الدعاء أمامه. ويحاولون تحقيق تلك الرغبات في المقام بالضبط لأسباب دينية ودنيوية؛ فقد يطلبون البركة والتوفيق والتسهيل في مناسباتهم اليومية والسنوية؛ كتحقيق الأماني والاستشفاء الروحي والبدني، أو يطلبون الحماية من الشرور وتجنب المصائب والعقبات، في اعتقادهم أن الزيارة تجلب لهم البركة والتوفيق في حياتهم؛ بينما التوفيق يكون من عند الله تعالى الذي بيده تسهيل الأمور وتيسيرها. وبهذا فهم يحاولون ردّ الجميل لصاحب هذا المزار الذي يحترمونه كثيرا، من خلال المنافسة في تقديم الهدايا والهبات للمقام، أو التكفل بإعادة بناءه وتجهيزه (ليفشيز رايموند، 1432هـ/2011م: 177). فهذه الممارسات التي تُعتبر ثقافة شائعة عند سكان مدينة مليانة، تعبّر عن مدى تماسك المجتمع ونشر الفرحة والتآزر بين فئاته عند اللقاءات الدينية والاجتماعية، لتبقى من أقدم العادات الشعبية المتوارثة جيلا بعد جيل.

ومن فرط تقدير أهالي منطقة مليانة وما جاورها لمكانة الولي الصالح سيدي أحمد، كان يتوجّب فيما مضى على المسافر من مدينة الجزائر إلى مدينة تلمسان، المرور بمدينة مليانة وزيارة المقام للتبرك والتحصين أثناء

السفر، حتى أنه كان يوجد فندق بجواره لاستقبال المسافرين، وبذلك يكون المقام قد أدى دورا روحيا واجتماعيا وسياحيا في نفس الوقت، فهو يعتبر من إحدى مقومات الجذب السياحي لمنطقة مليانة ومنطقة الغرب الجزائري عموما.

- خاتمة:

بناءً على ما سبق؛ يُعد مزار سيدي أحمد المليـاني من أروع النماذج المعمارية التي تزخر بها العمارة بالجزائر عامة ومدينة مليانة خاصة. فهو النواة الأولى لتأسيس المجمّع الديني المسمّى بزاوية سيدي أحمد بن يوسف؛ إذ يتميز بطراز معماري ثري مازال محافظا على سمات الطراز المعماري الإسلامي إلى يومنا هذا. اتخذ تخطيطه الشكل المربع الذي تعلوه قبة ويتقدمه رواق أو عدة أروقة تحيط به؛ فقد اتبع النمط الأصلي المعروف بالأضرحة الإسلامية مشرقا ومغربا. كما يتميز باتساع مساحته وثراء عناصره المعمارية، كالقبة المركزية الكبيرة ذات السقف القرميدي المثمن، والتي يحيط برقبتها من الداخل درابزين خشبي يؤدي دورا وظيفيا وزخرفيا في آن واحد. والمحراب الذي يعلوه رفّ خشبي، يحمل زخارف فريدة من نوعها، دون أن نغضّ الطرف عن المدخل وبابه الخشبي المزخرف وكذا الأعمدة والنوافذ المتعددة والحنيات الجدارية والكوات.

حظي المزار بمكانة كبيرة وهامة عند المليانيين، بل تجاوزت ذلك التقدير وتلك الشهرة حتى عمّت جميع مناطق البلاد. فهو رمز المدينة وإرثها الحضاري، وأهم نقطة تراثية راسخة في قلوب الأهالي، تُمارس عندها تقاليد وعادات خاصة، لا تزال متوارثة منذ عهود في مناسبات المليانيين الدينية والاجتماعية، لتعبّر عن تمسّكهم بتراثهم اللامادي العريق.

يجدر بنا في الأخير أن نثمّن الطراز الإسلامي والمتمثل في هذا التراث المعماري والفني، الذي يُبرز ثراء الجزائر من حيث معالمها الأثرية وعاداتها وتقاليدها؛ فهذا المقام هو رمز اعتراف من أهل مليانة وحكامها، للعالم والولي الصالح سيدي أحمد بن يوسف، وللمكانة المرموقة التي حظي بها عندهم، والتي حافظوا عليها إلى يومنا هذا كشاهد حيّ على حضارة

وثقافة ساهمت في إضـافات جديـدة للطـراز المعمـاري الجزائـري فـي الفتـرة العثمانية.

التعليقات:

التعليق رقم 1: الدامودي لأنه من بني دامود، فرع من قبيلة مغـراوة التـي لا تـزال منازلهم في قرية دامود بمنطقة توات بالصـحراء الجزائريـة. والمرينـي؛ لأنـه أقـام مدة بين منطقتي فجيج وسجلماسـة بـبلاد زنـاتـة بنـي مـرين وكـان أسـلافه الأوائـل بمراكش، هاجروا منها في القرن 4هـ/10م. والهوّاري؛ لأنه قضـى الجـزء الأكبـر من حياته ببلاد هوّارة التي تشمل مدينتي قلعة بني راشـد ويلـل بقـرب معسـكر مـن الغرب الجزائري. ثم الراشـدي؛ لأنـه قضـى الجـزء الأخيـر مـن حياتـه بقلعـة بنـي راشد، وأخيرا المليانـي؛ لأنـه دُفن بمدينـة ملياناـة (حـاج صـادق محمـد، د ت: 77- 78).

التعليق رقم 2: نذكر من تلاميذه محمد بن علي الصبّاغ الـذي لازمـه كثيـرا، وأبـو عبد الله مُحمد الشريف الزهار، نقيب الأشراف بمدينـة الجزائـر. أبـو الحسـن علـي الفيلالي، الذي ورث شيخه روحيا، ومحمد بـن سـعيدة القلعـي، الـذي مـات مجاهـدا ضد الإسبان، وكذا محمد بن غالي، الذي كـان كثيـرا مـا يـذهب لـيلا للغـزو ويعـود بالأسرى والغنائم (حاج صادق محمد، د ت: 88- 90).

التعليق رقم 3: لقد ذهب ذات مرة إلى مدينة وهران وعظّمه فيها أهلها أشدّ تعظيم، فكتب قائدها للأمير الزياني أن رجلا من أرض هوارة يُخشى منه الملك، فكتـب لـه الأمير: "إليّ أو اقتله". فلما أتى الشيخ أهله برأس الماء؛ بعث العامل لأمير هـوارة في الشيخ، فاطّلع الشيخ على ذلك وارتحل من وطنـه وقـال: "شوّشـونا شوّشـهم الله من البحر والبرّ". فلم يمض إلا قليل حتى شوّش الله بنـي زيـان مـن البحـر بـالكفرة الإسبان فأخذوا وهـران، ومـن البـرّ بـالأتراك فأخـذوا تلمسـان (الزيـاني محمـد بـن يوسف، 2013م: 62). وذات مرة، أخبره تلميذه الصباغ بزيارة اثنين أو ثلاثة مـن أصحابه، فرأى الصباغ من واجبه تحضير وجبة لهم؛ لكنهم لما كانوا في الطريـق، التحق بهم موكـب عظـيم للمشـاركة فـي الزيـارة، فلمـا رأى الصـباغ ذلـك، اعتـراه اضطراب شديد، فقال له الشيخ: "قدّم لنا ما حضّرت لا غير" واقتصر هو علـى أن يذوق من كل لون قبل أن يفوّته لأصحابه مع الـدعاء، فـأكلوا وشـبعوا كلهـم وتبقـى الطعام (حاج صادق محمد، د ت: 94).

ـ قائمة المصادر والمراجع:

ـ التلمساني بن هطّال، (2004م)، رحلة محمد الكبير باي الغرب الجزائري إلى الجنوب الصحراوي الجزائري 1785، تحرير وتقديم: بن عبد الكريم محمد، دط، الإمارات العربية المتحدة، دار السويدي للنشر والتوزيع.
ـ الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية، 26 محرم 1399هـ..

ـ الحموي ياقوت شهاب الدين، (1397هـ/ 1977م)، معجم البلدان، حرف الميم، مج 5، دط، بيروت، دار صادر.
ـ الحميري محمد ابن عبد المنعم، (1980م)، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: عباس، إحسان، ط2، بيروت، مؤسسة ناصر للثقافة، مطابع دار السراج.
ـ الراشدي ابن سحنون، (2013م)، الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، تحقيق وتقديم: البوعبدلي المهدي، دط، الجزائر، عالم المعرفة للنشر والتوزيع.
ـ الزياني محمد بن يوسف، (2013م)، دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران، تحقيق وتقديم: البوعبدلي المهدي، دط، الجزائر، عالم المعرفة للنشر والتوزيع.
ـ الشفشاوي محمد بن عسكر، (1397هـ/ 1977م)، دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر تحقيق: حجي محمد، دط، مطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر.
ـ الكتاني محمد بن إدريس، (1425هـ/2004م)، سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس، تحقيق: الكتاني عبد الله الكامل وآخرون، ج2، دط، الدار البيضاء، مؤسسة النشر والتوزيع.
ـ الوزان الحسن، (1983م)، وصف إفريقيا، ترجمة: حجي، محمد، والأخضر، محمد، ج2، دط، دار الغرب الجزائر.
ـ بلحميسي مولاي، (2007م)، مدينة مليانة عبر العصور من كتاب تاريخ المدن الثلاث الجزائر ـ المدية ـ مليانة، جمع: الجيلالي عبد الرحمان بن محمد، دط، الجزائر، دار الأمة.
ـ بلعربي عبد القادر، (2020 ـ 2021م)، ظاهرة الأضرحة والزوايا في بايلك الغرب الجزائري خلال الوجود العثماني، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجيلالي ليابس، سيدي بلعباس.

ـ بورملة خديجة، (2017م)، "مدينة مليانة خلال العصر الوسيط دراسة تاريخية من خلال كتب الجغرافيا والرحلة"، مجلة الناصرية للدراسات الاجتماعية والتاريخية، جامعة معسكر، مجلد 8، عدد1، ص. ص 223. 241 .
ـ بوغفالة ودان، (1430هـ/2009م)، التاريخ الاقتصادي والاجتماعي لمدينتي المدية ومليانة في العهد العثماني، الجزائر، دط، مكتبة الرشاد للطباعة والنشر والتوزيع.
ـ تكروشين زوليخة، (2020 - 2021م)، دراسة تنميطية لأضرحة الجزائر من القرن 1هـ/7م إلى القرن 13هـ/19م من خلال بعض النماذج، أطروحة دكتوراه في الآثار الإسلامية، جامعة الجزائر 2، الجزائر.

ـ حاج صادق محمد، (د ت)، مليانة ووليّها سيدي أحمد بن يوسف دراسة خاصة بمدينة متوسطة في الجزائر، دط، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.
ـ دويدة نفيسة، (أفريل ـ جوان 2015م)، "المعتقدات والطقوس الخاصة بالأضرحة في الجزائر خلال الفترة العثمانية"، مجلة إنسانيات، مركز البحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية، وهران، عدد 68، ص.ص 11. 34.
ـ سعد الله أبو القاسم، (1998م)، تاريخ الجزائر الثقافي 1500م - 1830م، ج1، ج2، دط، دار الغرب الإسلامي.
ـ صالح لمعي مصطفى، (د.ت)، القباب في العمارة الإسلامية، دط، بيروت، دار النهضة العربية والنشر.
ـ غوستاف لوبون، (1384هـ/1964م)، حضارة العرب، ترجمة عادل زُعيتر، ط4، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه.
ـ كربخال مرمول، (1408- 1409هـ/ 1988- 1989م)، إفريقيا، ترجمة محمد، حجّي، وآخرون، ج2، دط، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، دار المعرفة للنشر والتوزيع.
ـ ليفشيز رايموند، (1432هـ/2011م)، تكايا الدروايش الصوفية والفنون والعمارة في تركيا العثمانية، ترجمة: عودة عبلة، دط، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث كلمة.
ـ مفلاح محمد، (2006م)، أعلام من منطقة غليزان تراجم منذ القدم إلى غاية القرن التاسع عشر ميلادي، دط، دار هومة.

-Basset René, (1895), Etude sur la Zenatia de l'Ouarsenis et du Maghreb Central, S.Ed, Paris.

-Gsell Stéphane, (1997), Atlas Archéologique De L'Algérie, Tome1, Texte, 2eme édition, Alger.

-Haddadou M.A, (2012), Dictionnaire Toponymique et Historique de L'Algérie, S.Ed, Edition Achab.

-Shaw Dr, (1830), Voyage Dans La Régence D'Alger, S.Ed, Paris, Marlin Editeur,.